الخليقة واللعنة

بقلم : "جيمس ستامبو"

الحاصل على الماجستير فى اللاهوت

هل رأيت مرة عددًا من مجلة "ناشيونال جيوجرافيك" به أسد يطارد غزالاً ثم يلتهمه فى نهاية المطاردة ؟ تستطيع بالطبع أن ترى الرعب فى عينى الغزال وهو يجرى لينجو بحياته . ونحن أنفسنا لنا رد فعل سلبى نحو أخبار الكوارث الطبيعية التى يموت فيها عدد كبير أو يتأذى جسديًا ونفسيًا . ونقبل بهذه المآسى لكن نرى من خلالها افتراضًا صامتًا بأن عالمنا ظل دائمًا على حاله هذا الذى نراه فيه حالياً . هذا الافتراض أثار أسئلة عديدة عن حقيقة وجود أو صلاح الله . قد يُسأل هذا السؤال : "إذا كان الله موجودًا فلماذا يسمح لخليقته بالألم البدنى أو بالشر الأدبى ؟ إما أن يكون ليس قويًا بدرجة كافية لمحاربة الشر أو أنه لا يهتم بالتعامل معه من الأصل" . هذا ما نسميه بـ"قضية الشر" . هذه القضية تثير الشك حول شخصية الله ومقدرته وتلقى باللوم على الحالة الراهنة لخليقته عند قدميه . هناك عدد متزايد من المؤمنين الذين يصرون على أن الله ، وليس الإنسان ، هو المسئول عن حالة العالم الراهنة . اقرأ ما قاله أحدهم عن ذلك :

"بينما نحن البشر نرتكب الخطية فإنها تجعلنا بشكل طبيعى نتأثر سلبيًا بما حولنا من فساد ومشقة وموت جسدى وآلام ومعاناة وبينما يرتبط كل هذا فى النهاية وبطريقة ما بخطة الله للتغلب على الخطية باستمرار إلا أنه لا شىء فى الكتاب المقدس يدفعنا إلى الاستنتاج بأن كل هذه الكيانات كانت موجودة قبل عصيان "آدم" على الله . ومن الناحية الأخرى إعلانات الله من خلال الطبيعة تثبت أن كل هذه الجوانب وُجدت لزمن طويل جدًا يسبق خلق الله لـ"آدم"[1]".

علينا نحن المؤمنون أن نتفهم طبيعة وتوقيت لعنة الله على الخليقة . فهى أُعلنت فى تكوين3 لكن تعليق "بولس" عليها الذى نجده فى رومية 8 : 19 - 21 يساعدنا فى فهم الحدث كله . لا بد أن نحدد الوقت الذى حدثت فيه كما قال "بولس" ومدى انتشار تأثيرها .

معنى "بُطل"

أول خطوة فى دراسة كلمة "بُطل" (رومية 8 : 20) هى ملاحظة معناها واستخدامها . الكلمة اليونانية *mataios* ومشتقاتها تتكرر 11 مرة فى العهد الجديد . الاسم *mataios* المُترجم إلى

"باطل" أو "أباطيل" يأتى ست مرات فى ترجمة الملك "جيمس" للكتاب المقدس[2] . الصفة *mataiotes* المُترجمة إلى "باطل" تأتى ثلاث مرات[3] . الحال *maten* المُترجم "باطلاً" يأتى مرتين[4] . معجم من المعاجم عرّف الاسم والصفة بتقريبهما من "القيمة" فجاء معناهما "عديم الفائدة ، وعديم الجدوى ، فارغ"[5] . من الجدير بالملاحظة أن هذه الصفة تُستخدم فى الترجمة السبعينية لترجمة الكلمة العبرية *hebel* الواردة بسفر الجامعة . ترجماتنا الإنجليزية تظهرها "باطل الأباطيل" .

معنى "بُطل"ممكن أن يُصاغ فى كلمتين يونانيتين *kenos* و*mataios* ومن المثير للاهتمام ملاحظة ست حالات تشابه واختلاف بينهما . كلمة *kenos* المترجمة كثيراً إلى "باطل"[6] غالبًا ما تُستعمل لاضفاء معنى مشابه لـ*mataios* . المرة الوحيدة التى يظهران فيها فى نص مشترك هى 1 كورنثوس 15 . استخدم "بولس" *kenos* فى عددى 10 و14 و*mataios* فى عدد 17. استخدم "بولس" هاتين الكلمتين لعطاء المعانى التالية "*kenos* تعنى باطل لأنها شىء بلا مضمون ، *mataios* تعنى باطل لأنها شىء مضلل أو غير فعال"[7] . لذا استخدم "بولس"هاتين الكلمتين المتضادتين *kenos* تشير إلى مفهوم الإيمان أو النعمة الخالى من المضمون بينما أى شىء يوصف بـ*mataios* يبدو نافعًا لكنه فى الواقع غير ذى فائدة ! هذا كان له أهميته عندما استخدم "بولس" الصفة فى رومية 8 ، الطبيعة كانت تبدو أنها تقوم بكل وظائفها كما خلقها الله لكنها فى الواقع لا تفعل ذلك .

استخدم "بولس" الاسم فى رومية 8 : 20 وهو يُعرف هنا كـ"فراغ ، عدم جدوى ، عشوائية ، زوال"[8] . الصفة تأخذ مفهوم الخداع والتضليل . فى سفر الجامعة نرى "سليمان" عازمًا على أن يعيش حياته بدون أدنى تفكير فى الله . الترجمة السبعينية تستخدم الصفة لتوصيل فكرة "الباطل" وذلك لأن "سليمان" يريد للقارىء أن يلاحظ أن باستطاعة المرء أن يحيا حياته متمردًا على الله لكن هذا النوع من الحياة لا يشبع أى احتياج ويُعد شرًا فى نظر الله . نمط الحياة هذا الذى نراه فى سفر الجامعة قد يبدو مُرضيًا ومُشبعًا ظاهريًا لكن ما هذا إلا تضليل . لذا يريد الجامعة أن يوضح نقطتين : الحياة مخادعة وتسير ضد وصايا الله . العهد الجديد يبدو أنه أيضًا يستخدم *mataiotes* لتوصيل فكرة الوقوف ضد الله . فى المكانين الأخريين حيث استُعملت هذه الكلمة *mataiotes* أشارت إلى ما هو ضد وصايا الله . استخدم الرسول "بولس" هذه الكلمة فى أفسس 4 : 17 ليحرض المؤمنين على عدم العيش كالأمم الذين يستخدمون عقولهم لممارسة أنشطة آثمة . فأهل "أفسس" كانوا يعيشون بطريقة يظنون أنها مفيدة لكنها لم تكن كذلك

وكانت أيضًا حياة عاصية . تظهر هذه الكلمة أيضًا فى بطرس الثانية2 : 18 حيث تصف تعليم المعلمين المزيفين . يذكر الرسول "بطرس" المفهومين معًا : الضلال والبُطل مع كلمة *mataiotes* "باطل أو خالى" . معظم الناس ظنوا أن "بُطل" *mataiotes* تشير إلى شىء بلا هدف ، لكن "دان" يذكر أن "الخليقة هى *mataiotes* بمعنى أن الشىء لا يقوم بوظيفته المنوط بها"[9] . لذلك فالطبيعة وأسلوب حياة الإنسان وأحاديث المرء كلها خُلقت لتكون فى توافق مع مشيئة الله أو مقاصده . هذه الأشياء الثلاثة تُدعى *mataiotes* لأنها لا تعمل حسب التصميم الأصلى لها مع إنها ظاهريًا تقوم بوظيفتها الحقيقية . لذا فالكلمة لها نوع من المعنى المضلل فيما يتصل بمشيئة الله أو مقاصده . تكملة لهذا السياق يقول "ترنش" : "على المرء أن يتخلص ، جزئيًا على الأقل ، من *mataiotes* ليكون صالحًا ليعطيها الاحترام اللائق بها"[10]. نقع فى شر خطير إذ نظن أن الطبيعة تلعب دورها الصحيح عندما لا نأخذ فى الاعتبار لعنة الله التى وقعت على الطبيعة .

توقيت "البُطل" و"الفساد"

يمكننا أن نلاحظ التوقيت من كلمة "أُخضعت" ، وهو يشير إلى حدث تم فى الماضى عندما وقع على الخليقة عمل ما بواسطة عامل خارجى . الفعل "أُخضعت" مبنى للمجهول مما يعنى أن قوة خارجية جلبت على الخليقة كلها هذا البُطل وعبودية الفساد . استخدم الرسول "بولس" صيغة المبنى للمجهول ليخفى وجود الله لكن هناك شك بسيط بأن الله هو العامل المحرك فى هذا الفعل[11] .

الفعل فى صيغة الماضى للإشارة لحدث وقع فى الماضى . الفعل الماضى فى اللغة اليونانية قد يؤخذ على أنه يشير إلى أنواع متعددة من الأحداث . نرى فى رومية8 : 20 أن "بولس" استخدم "الفعل الماضى البالغ الذروة" مما يعنى أنه "تمنى أن يشهد حدثًا كاملاً لكن ينظر إليه من خلال نتائجه الموجودة[12] . كان من الممكن أن يستخدم "بولس"هذا الماضى لينظر إلى الخليقة على أنها حياة بأكملها تعيش تحت ظروف فيها "أُخضعت للفساد" . لذا من المرجح أننا تُركنا مع اختيارين بخصوص متى حدث هذا الفعل "أُخضعت" بالضبط . الأول فى تكوين3 : 14 - 19 بسبب خطية "آدم" ألقى الله الدينونة على الجنس البشرى والنباتات والحيوانات والأرض . الاختيار الثانى قد يشير إلى أنه حدث فى بداية تكوين1 : 1 .

إذا كان لنا أن نحدد توقيت هذه الواقعة لنضعه فى تكوين 1 : 1 فكيف سيؤثر ذلك على اللاهوت المسيحى ؟ إذا كان الله لعن الخليقة منذ البداية فلن يوجد إذاً إجابة مناسبة لـ"قضية الشر" فالعالم يعتبر الموت والألم والمعاناة "شرًا" سيزول (رؤيا 21 : 4) فى "أرضًا جديدة يسكن فيها البر" (بطرس الثانية 3 : 13) .

يعلن الكتاب المقدس أن الله خلق كل شىء على أكمل وجه (حسن جدًا وفقًا لتكوين 1 : 31) . الأرض والحيوان والإنسان تعايشوا فى سلام وانسجام . أعطى الله للإنسان حرية الاختيار : يختار أن يطيعه أو يعصيه ، ومع ذلك فإننا لو لاحظنا التوقيت الموجود فى رومية 8 : 19 - 21 كما يرجع تاريخه من تكوين 1 : 1 لن نستطيع تقديم دفاع معقول بأن الله صالح ومحب وبار ورحيم لأن العالم "الذى يئن" كان من مخططه .

يبدو أن من يلوم الله على العالم الحالى الشرير يتجاهل فكرتين : أولاً ، كان على الله أن يخلق ما يتوافق مع شخصه . إذا كان الله خلق عالمًا تعانى فيه الخلائق من الشر (بدنيًا ومعنويًا) إذًا فهذا الشر لا بد وأنه موجود منذ البداية . وهذا يعنى إما أن الله ضعيف ليتخلص من هذا النوع من العالم إما أنه يستمتع برؤية خلائقه تتألم . الإله الذى يخلق عالمًا "أخضع للبُطل والفساد" هو بالضبط مثل الآلهة الأخرى للعالم القديم : قاسية وشريرة ومتقلبة المزاج . باختصار هذا الإله ليس هو إله الكتاب المقدس . ثانيًا : ما كان ممكنًا أن الله يمنع الشيطان و"آدم" من مواجهة آثار هذا "البُطل والفساد" . لذا عندما عصى الشيطان وملائكته ، وبعدهم "آدم" ، الله كانوا يفعلون ما كان متوافقًا مع الخليقة حولهم . وهكذا يبدو الله كمن لم ، أولم يستطع أن يكون ، يكن عادلاً مع كلا من الطرفين . فلم يكن لدى الشيطان ولا لدى "آدم" حرية الاختيار لأن "الفساد" كان سيترك أثرًا عليهما إراديًا وروحيًا لذا لم يكن باستطاعتهم شيئًا إلا الوقوع فى الخطية . هذا يؤثر أيضًا على الخدمة الرعوية اليوم لأن القسيس ليس لديه ما يقول للمتألمين . الله خلق العالم بطريقة ما تسمح لهم بهذه الآلام . لا توجد خدمة لتعزية الحزانى فالله يستمتع ببكائهم . هذه هى النتائج الأليمة لرؤية عالم موجود اليوم وأصوله تبدأ فى تكوين 1 : 1 .

الخـاتمــة

ركز هذا المقال على توقيت وآثار اللعنة . رأينا أن الطبيعة الفاسدة لم تكن كما قصد الله لها وأن الفساد يشير إلى التدهور المادى للنظم كلها . هذه الحادثة لا بد وأنها وقعت فى تكوين 3 : 14 - 19 عندما أخطأ "آدم" . إذا تمسكنا بهذا الاعتقاد فسيصبح اللاهوت المسيحى ثابتًا فى تعليمه

وإذا حدث العكس فلا بد أن نلوم الله على كل الشرور الموجودة فى العالم .

مراجع وملاحظات :

(١) "هيو روس" ، الخليقة والزمن (كولورادو سبرينجز : نافبريس ،1994) 69

(٢) الستة هم : أعمال 14 : 15 / كورنثوس الأولى 3 : 20 / كورنثوس الأولى 15 : 17 / تيطس 3 : 9 / يعقوب 1 : 26 / بطرس الأولى 1 : 18 .

(٣) الثلاثة هم : رومية 8 : 20 / أفسس 4 : 17 / بطرس الثانية 2 : 18 .

(٤) انظر متى 15 : 9 ومرقس 7 : 7

(٥) "جوهاناس ب. لو" و"يوجين أ. نيدا" ، القاموس اليونانى / الإنجليزى للعهد الجديد المبنى على دلالات الألفاظ

(٦) انظر أعمال 4 : 25 و كورنثوس الأولى 15 : 10 و14 و58 و كورنثوس الثانية 6 : 1 وغلاطية 2 : 2 وأفسس 5 : 6 وفيلبى 2 : 16 وكولوسى 2 : 8 و تسالونيكى الأولى 2 : 1 و3 : 5 ويعقوب 2 : 20 .

(٧) القاموس اللاهوتى للعهد الجديد .

(٨) القاموس اليونانى / الإنجليزى للعهد الجديد ومطبوعات أخرى للمسيحيين الأوائل .

(٩) "جيمس د. ج. دان" ، رومية 1 ـ 8 ، (دالاس : ورد بوكس ،1988) ، 470

(١٠) "ريتشارد س. ترينش" ، *مرادفات العهد الجديد* ، 182 .

(١١) "س. إ. ب. كرانفيلد" ، *تعليق نقدى وتفسيرى على رسالة رومية* ، (إدنبرج : ت وت كلارك ليمتد ،1980) : 1 : 413

(١٢) "هـ. إز دانا" و"يوليوس ر. مانتى" ، *قواعد النحو للعهد الجديد اليونانى* ، (نيو يورك : ماكميلان ،1957) ، 196 .